اغلاط المولّدين

من المعلوم ان العرب كانوا قوماً أُمّيين لم يدوّنوا شيئاً من قواعد لغتهم وشعرهم ولا كانوا يعرفون شيئاً مما نسميهِ اليوم بعلوم الادب كالصرف والنحو وغيرهما ولكنهم كانوا يرسلون الكلام عن وحي السليقة وتلقين البديهة لا يراعون في ذلك الا ما ارتسم في ملكاتهم من الطرق والاساليب التي نشأوا عليها وأَلِفوها فيما بينهم . فلما جاء الاسلام وكثر اختلاط العرب بغيرهم من الامم وخيف على السنتهم من الفساد انتدب من أئمتهم من تدارك امر اللغة بتدوين مفرداتها وتقييد احكامها على ما هو مشهور فجمعوا اجناس كلامهم وضمّوا كل نظير الى نظيرهِ حتى صارت علماً ذا اصول وضوابط وما وُجِد خارجاً عن قياس امثالهِ من شواذّ الالفاظ والتراكيب نبّهوا عليهِ في اماكنهِ ليكون المقلّد لهم في هذه اللغة على بيّنةٍ من استعمالها عارفاً بمَقيسها ومحفوظها

على ان الشذوذ في اللغة ليس بالامر النادر ولكن من تتبّع منقولها ولا سيما ابنية الالفاظ المفردة من المصادر والصفات والجموع ومعاني بعض المزيدات يجد من ذلك ما لا يُحصى حتى يُضطرّ الى اخذ الكثير منها بالحفظ والسماع . وهذا ولا جرَم من الشوائب التي اضاعت كثيراً من محاسن اللغة وذهبت بفضل الواضعين لها وجعلت الاحاطة بها من المعجزات حتى لا يتعدى الثقات من اهلها افراداً قلائل في كل عصر . ولذا كان العلم بشواذّ اللغة وشواردها اهمّ من معرفة مطّردها ومقيسها بل

هو الغاية التي يكبو من دونها السُبّاق من اهل هذه الصناعة والمزلّة التي يُستدرَج بها الأَثبات من ذويها واليهِ مرجع اكثر ما نراهُ من الخطأ في كلام المولّدين اذ القياس كالمحجّة الواضحة لا يكاد يضلّ سالكها

ومعلومٌ ان العرب كانوا من اشدّ الناس تأنقاً في لغتهم وأَقوَمهم على تهذيب احكامها وادقّهم نظراً في تسديد اقيستها كما يعلم ذلك من تتبّع كلامهم بالروية النقّادة ورأى ما في ابنية الفاظهم واشتقاقاتها من الحكمة والسداد والملاءمة بين اجناس الالفاظ والمعاني مما لا تضارعها فيهِ لغةٌ من اللغات فمن العجيب ان يقع لهم مثل هذا الشذوذ الفاحش حتى لا يقف الناظر في بعض الالفاظ على قياس يردها اليهِ . على انك اذا استقريت هذه الشواذّ وجدت اكثرها طارئاً على اصل الوضع بحيث انك اذا تتبعت كثيراً من موادّ اللغة امكنك ان تستشفّ القياس من بينها وتمثل الاصيل فيها من الطارئ . وهي على الغالب ترجع الى سببين احدهما تداخل اللغات بحيث كان بعض الفاظ المادّة من لغةٍ وبعضها من لغةٍ اخرى فتعارض القياس بينهما والثاني الضرورات الشعرية لما فيها من الخروج عن مقتضى القياس لاقامة الوزن او القافية

وبيان ذلك أن ما نُقِل الينا من اللغة لم يكن لغة قبيلةٍ واحدة ولكنهُ خليطٌ من عدة لغات هي التي اجتمعت في لغة قُرَيش وهي لغة التنزيل والسُنّة التي دوّنها المصنّفون في كتبهم والتي عليها استعمال المولّدين الى هذا اليوم . قال السيوطي في الاقتراح « قال ابو نصر الفارابي في اول كتابهِ المسمى بالالفاظ والحروف كانت قُرَيش اجود العرب انتقاداً

للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق واحسنها مسموعاً وأَبيَنها ابانةً عما في النفس. والذين نُقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتُدِي وعنهم أُخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد فان هؤلآء هم الذين عنهم اكثر ما أُخِذ ومعظمهُ وعليهم اتُّكِل في الغريب وفي الاعراب والتصريف. ثم هُذَيل وبعض كنانة وبعض الطآئيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم». انتهى المقصود منهُ

ولا بأس ان نورد ههنا شيئاً من امثلة التداخل المشار اليهِ وذلك كقولهم حَضِر بالكسر يحضُر بالضمّ وهذان لا يكونان في اللغة الواحدة لان هذا ليس من الاوزان المألوفة عندهم انما هما من لغتين فالماضي من لغة من يقول حَضِر يحضَر على حدّ علِم يعلَم والمضارع من لغة من يقول حَضَر يحضُر على حدّ نَصَر ينصُر ولكن وقعت احدى اللغتين الى الاخرى فحدث عن اجتماعها لغةٌ ثالثة. وهناك لغةٌ رابعة وهي حَضَر يَحضَر بالفتح فيهما وهي عكس الاولى بمعنى انهُ أُخِذ الماضي من حدّ نَصَر والمضارع من حدّ علِم فجاء حاصلهما من حدّ منَع. وربما استدرج ذلك بعض اللغويين فصرّح بهذا الضبط الاخير كما فعلهُ صاحب القاموس في ضبط رَكَن فجعلهُ كنصَرَ وعلِمَ ومنَعَ وكما فعل في ضبط هلَكَ حيث جعلهُ كضَرَبَ ومنَعَ وعلِمَ. ومثلهُ ما حكاهُ ابن جنّي من قولهم قنَط يَقنَط بفتح النون فيهما وانما هو من بابي ضَرَبَ وعلِمَ وقس على ذلك عدة افعال وردت على هذا النحو كسَلَا يسلَى وأَبَى يأبَى وكل ذلك مخالفٌ للمُجمَع عليهِ في لسانهم لان فتح العين في الماضي والمضارع مخصوص بما

كانت عينهُ او لامهُ حرفاً من احرف الحلق . وهذا الفتح مع حرف الحلق غير خاصّ بالعربية ولكنك تجد مثلهُ في العبرانية ايضاً فيما كان كذلك من الافعال بل هو في هذه اللغة اعمّ مما عند العرب فانهم كثيراً ما يفتحون مع حرف في الحلق حيث يسكّنون مع غيرهِ فيقولون في يعقوب مثلاً يَعَقُوب بفتح العين وهو في الاصل مضارع عَقَبهُ اذا اخذ بعقبهِ وكذا اذا ارادوا مضارع حَلَم وعَمَد ونحوهما قالوا يَحَلُوم ويَعَمُود (اي يَحْلُم ويَعْمُد) فيفتحون فآء المضارع المجرّد . ويقولون في روح ويشوع ورقيع رُوَح ويَشُوَع ورَقِيَع بفتح الواو واليآء . والظاهر ان هذا امرٌ طبيعيٌّ كما يدلك عليهِ أنك ترى الاعجميّ اليوم اذا اراد ان يقول موضوع مثلاً ومفاتيح ينقاد بطبعهِ الى فتح الواو واليآء قبل الحرف الحلقي لان هذين الحرفين يخرجان من ادنى الفم فكانهُ يستعين بفتح فمهِ على ايصال الصوت الى مقطع الحلق .

ومن ذلك انك ترى مصادر الالوان تأتي على فُعْلة بالضمّ كالحُمرة والصُفرة والسُمرة والشُهلة وقياس الفعل من هذه المصادر ان يكون من باب علِمَ وهو ما تراهُ مطَّرداً في كل ما استُعمل منها مجرَّداً . ولكنك تجد بينها الصُهوبة والكُدورة ومقتضاهما ان يكون الفعل منهما من حدّ كَرُمَ كما تقول سَهُلَ سُهولةً وصَعُبَ صُعوبةً . وقد ورد كَدِرَ بالاوجه الثلاثة واما صَهِبَ فلم يرد فيهِ الا الكسر مع ورود المصدرين فيهِ . وعكسهُ شَهُبَ فانهُ لم يُحكَ في مصدرهِ الا الشُهبة مع ان الفعل رُوي من بابي علِمَ وكَرُمَ . وقس على ذلك كثيراً من منقول اللغة مما اضطربت

فيهِ سلسلة الاشتقاق او جآء بعض الالفاظ فيهِ مُقتضَباً بنفسهِ وهذا بابٌ واسع تحتمل الافاضة فيهِ مجلداً برأسهِ (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ١٣ —

قد أتينا في الفصل السابق على بيان أمرين مهمين مما يحقُّ للنسآء أن يطالبنَ بهِ الرجال من حقوقهنَّ والآن نأتي على ايضاح سائر الامور فنقول

ان المرأة في أوربا مسؤولة أبداً عن ماضيها أي عن سيرتها الادبية قبل الزواج بخلاف الرجل فانك تراهُ يقصُّ على امرأتهِ بعد أن تصبح شريكة حياتهِ حوادث عزوبتهِ مفتخراً بما يتلو عليها من فصول أسرارهِ الليلية وفضائحهِ الشهوانية غير مبالٍ بما تؤثرهُ في فؤادها المحب واحساسها السريع الانفعال مما يعود عليهِ في مستقبل أيامهِ معها وبالاً ونكالاً فكأنهُ يزعم انها مفصَّلةٌ من حديد صلب لا من لحمٍ ودم. ولذلك لا يتبادر الى ذهنهِ ان الغيرة ستدركها مما تسمع وان النفس ستناجيها ان تحذو حذوهُ فيما فعل مغرياً اياها وهو لاهٍ عن مغبَّات قولهِ بالخروج عن حدود الصون والعفاف التي يودُّ كل زوج من امرأتهِ الاَّ تتعداها. أما هي فالويل لها اذا أتت أمامهُ بذكر علاقة لها سابقة ولو تلميحاً على عهد بكارتها أو تأيُّمها — اذا كانت ارملةً ثم تزوجت — فتلك هي الجريمة التي لا تُغتفر أبد الدهر

والاساءة التي لا يحسن عليها الترفق او الصبر فالمرأة التي تغلبها الخفة فتنطق على مسمعٍ من زوجها ولو بكلمةٍ من هذا القبيل بشّرها بعذابٍ أليم وحياةٍ دونها مرارةً وبلآءٌ ما أُعدَّ لابنآء الجحيم

ثم ان المرأة في اوربا يباح لها غالباً السفر برًّا وبحراً في الحوافل والعواجل والقُطُر وعلى اجنحة البخار ومتون المضمَّرات الجياد كالرجال وقد تعوَّدت في الازمنة الاخيرة ان تركب المنطاد صعوداً الى كبد الفضآء لا بل ان البنات في بلجيكا على رواية اسكندر دوماس ترافق الواحدة منهنَّ من تهواهُ ويهواها في سفرةٍ قد تطول اياماً او اشهراً قصدَ اختبار كلٍ منهما اخلاق الآخر حتى اذا انتهت على زعمهم مدة الاختبار عادا الى مقرهما اما الى عقد الوفاق وصلاة الاكليل واما الى انفصام عروة الوئام وانصراف كلٍ منهما الى قنصٍ جديد . كلُّ هذا يجوز في شرع هؤلاء المتمدنين لا يرون فيهِ بأساً ولا يوجسون منهُ خشية المذمة ووصمة العار. وأما ركوب المرأة عربةً في البلد والتخطر في شوارعها او متنزَّهاتها منفردة فمحظورٌ مهما كانت الاسباب والضرورات الداعية اليهِ ما لم يرافقها طفلٌ او وصيفة ومَن لم ترعَ هذه السنَّة وبدت في العربة وحدها ولو ذهاباً الى الخيَّاطة او الى بيت ابيها عدَّها الرآءون من المتهتكات الغاويات وتناولوها بكل شفةٍ ولسانٍ بل جاز لايّ شآء من الرجال ان يطارحها آيات المداعبة والغزل ويدعوها الى ما لا يُستحَبُّ ذكرهُ ولا عتبَ عليهِ ولا ملام . حتى انهُ كثيراً ما تضطر بعض العقائل اللواتي يجتنبنَ سوءَ الأُحدوثة الى زيارة صاحبة او استشارة قابلة او طبيب فاذا لم تجد من ذويها او خوَلِها من

يرافقها اضربت عن الذهاب مرغمةً مهما ترتب على عدولها من المضارّ

فتأمل في حال اولئك المتمدنين كيف يوسعون من جهةٍ نطاق الحرية لذلك المخلوق الضعيف القويّ الى حدّ يتجاوز الافراط بحجة انهُ من موجبات التسوية في الحقوق ثم يبالغون من جهةٍ ثانية في الضغط عليهِ بلا سببٍ عادل الى حدّ انهُ لا يملك المشي وحدهُ او الركوب في عربة ضمن المدينة او في ارباضها محافظةً على عادةٍ سيئة . ومن اين جاز في شرع التهذيب والادب للرجال ان يتصبوا بلا حرج من تكون منفردةً في عربتها مهما كانت صفتها دون ان يُضرَب على ايديهم من ذوي الحكم لعبثهم بالأعراض على ملإٍ من الناس . ولقد صح عندنا ان اهالي اميركا الشمالية هم من هذا القبيل اصلح عاداتٍ وأقوم سبيلاً لانهم لا يفرّقون هذا التفريق الجامع النقيضين بل يطلقون للانثى حرية الانفراد سفراً وحضراً والركوب على أي صورةٍ كانت وحدها كانت او مع جماعةٍ ولا تثريب عليها فيما تفعل

لا جرم ان ذلك اكثر عدلاً واقرب الى الذوق السليم وان كان كلا الامرين لا ينطبق على عوائد الشرقيّ البَحْت بل ينكرهُ كل الانكار ويرى فيهِ ما ينافي الصيانة ويبترّ من جلال الانثى ومهابتها . بيد انهُ مع كل هذا التحوّط والتشديد يجوز للانثى في دمشق وحلب و بغداد مثلاً ان تسلك الشوارع والطرق مشياً وركوباً في عربة او غيرها دون رفيق وليس من يتهمها بوصمةٍ او يرميها بريبةٍ ما لم تكن معروفةً بالتبذّل مشهورةً بهتك الحجاب

أما الضِرار وهو تعدُّد الزوجات [١] في الشرق فهو بلية النسآء الكبرى ومن الغريب انهُ ما برح حتى هذا القرن مُباحاً مستفيضاً في اكثر الامم من اهلهِ

اما البرهميون والبوذيون وسائر سكان الشرق الاقصى فيعتبرون الزوجة الاولى شرعيةً واما سائر الزوجات فيكنَّ بمثابة عبداتٍ لها . ومن غريب عاداتهم انهُ عند ما يموت الرجل تُدفَن او تحرَق زوجتهُ معهُ ولا

(١) ان تعدُّد الزوجات عادةٌ قديمة جدًّا جرى عليها الفُرس والرومان والمصريون والهنود والعرب وغيرهم من سائر الامم القديمة وهي لا تزال شائعة كل الشيوع في الشرق وتجيزها شرائعهم ولذلك هم يألفونها ولا يستهجنونها

أما تعدد الازواج أي تزوج امرأةٍ واحدةٍ بعدَّة رجال - وهو نادر الوجود اليوم الا بين بعض القبائل المتوحشة - فينكرهُ الطبع كل الانكار وقد لا يصدّق العاقل انهُ كان قديماً كثير الشيوع بين كثيرٍ من الامم ثم تقلص ظلهُ مع تراخي الايام لانقطاع العلة التي سبَّبت انتشارهُ قبل وهي قلة الاناث بالنسبة الى الذكور. وهذه العلة لم تكن لتنشأ لولا ما تعوَّدهُ الهنود والعرب وغيرهم من وأد البنات - اي قتلهنَّ أو دفنهنَّ حيَّاتٍ حين تضعهنَّ الوالدات - اذ قد ثبت بالاستقرآء ان الولادة من الجنسين متعادلة متقاربة في اكثر انحآء المعمور . الا انهُ قد تدعو ايضاً الحروب الطاحنة الى تعدُّد الزوجات فان القتال انما يجتاح الرجال و يستأصلهم دون الاناث على حدّ قول الشاعر

كُتب الحرب والقتال علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

وكان الازواج لزوجةٍ واحدة يتألفون أولاً من أُسَرٍ متعدّدة ولا قرابة بينهم ثم انحصرت هذه العادة في الاشتراك بين الاخوة ولا تزال قبيلة الكاسياس في جبال حملايا وقبيلة النارس في مالابار والكوناس في جنوبي اميركا جارية حتى اليوم على

عكس والويل ثم الويل لمن تأبى نفسها هذه الميتة الهائلة فانها تعيش ذليلةً مهانةً بين مواطنيها ممقوتةً مبغضةً من اهلها وبيت حميها يسومونها من انواع العذاب والعسف والجور ما يحلو دونهُ الموت الف مرةٍ في اليوم تخلصاً من شقآءٍ دائم وارزآءٍ لا تنفد . وهي اذا حاولت النجاة من بلايا الترمل بالتزوج ثانيةً زادت في قومها ذلاً على ذلٍّ . ولذلك لا نعجب اذا

القاعدة الاولى اي ان يشترك جملة أزواج من أُسَر مختلفة في امرأةٍ واحدة . وقد ذكر احد السياح شيوع هذه العادة بين بعض اهل افريقيا حيث يتزوج الرجل بامرأةٍ واحدة وتتزوج المرأة بعدة رجال وفي جزائر صندويج يحصرون تعدد الزوجات في النسآء الحاكمات

أما تزوج المرأة بأخوين معاً فهو قديم جدًّا وكان شائعاً في وادي كشمير وتيبت وجبال سفلك وكستوار وسرمور وسلحت وكشار واما كن غيرها في الهند وسيلان واستراليا و بين سكان اميركا الاصليين . ولكن في سيلان يجوز لكلٍ من الازواج ان يشرك في زوجتهِ من شآء من الرجال فيصيرون أزواجاً شرعيين لها مثلهُ بشرط أن يكون ذلك برضى المرأة أيضاً . وهذا برهان على ان العادات والسنن قد تسطو على الغيرة الطبيعية وحب الاثرة فتميتها . وقد قال أحد الروّاد انهُ رأى هناك امرأةً من الشريفات لها ثمانية أزواج وظهر من تعداد سنة ١٨٢١ ان الرجال كانوا في تلك الجزيرة اكثر من النسآء بعشرين الفاً وهذا سرُّ بقآء هذه العادة بين بعض اهاليها حتى اليوم مع اجتهاد البرتوغاليين في ازالتها

ولقد ثبت ان الاخوة في اسبرطة مهما كان عددهم كانوا يشتركون في زوجةٍ واحدة . وقال يوليوس قيصر ان اهالي بريتانيا القدمآء كانوا كذلك وذكر استرابون المؤرخ ان تعدد الازواج كان شائعاً عند بعض الماديين حتى انهم كانوا يحتقرون المرأة التي لها أقل من خمسة أزواج

رأينا النسآء حالة موت ازواجهنَّ ذاهباتٍ الى الموت معهُ احراقاً او دفناً في الحيـاة وهنَّ فرحاتٌ طربات متزينات متبرجات كانهنّ في وليمة او عرس اذ يفضلنَ الموت مع الشرف ورضى الناس عنهنَّ على حياة الترمل التي في كل دقيقةٍ من دقائقها ويلٌ ونكالٌ كالاستشهاد . ولطالما عُنيت الحكومة الانكليزية في الهند باستئصال هـذه العادة الفظيعة فلم تفلح الا في المدن واما في اكثر الارياف فهم يجرونها سرًّا ولو تحملوا طائلة العقاب . اما في البلاد التي ليس للحكومة الانكليزية سلطةٌ فيهـا فهم يجرونها علناً باحتفال دينيّ عظيم ولا يتحولون عنها حتى اليوم

(ستأتي البقية)　　　سليم عنحوري

الجوكية

(تابع لما في الجزء الخامس)

والجوكية في الهند فرقةٌ من الطائفة المعروفة بالفقرآء وهم قومٌ من النسّاك يعيشون من التكفف على حدّ الدراويش في فارس والمملكة العثمانية. وأصل طريقتهم يرجع الى حكايةٍ وردت في الكتب الهندية حاصلها أن واحداً من راجواتهم يقال لهُ دِيزَرْت نى ابنهُ رام من المملكة وفيما كان غائباً اقبل الملك رِيقان على امرأة رام متنكراً بزيّ مستعطٍ يسألها صدقةً فخطفها وانطلق بها . ولما عاد رام وعلم بمـا كان زحف على مملكة ريقان فدمّرها وخرج ريقان هائمـاً على وجههِ يتنقل من بلدٍ الى بلد يعيش من الكُدية فاقتدى به اناسٌ من اهل تلك الديار ولم يلبث ان كثر تُبّاعهُ وانتشروا

في اكثر نواحي الهند الشرقية

وعدد الفقرآء في هذه البلاد يبلغ على ما ذكرهُ هِرْبِلُوت ثماني مئة الف من المسلمين واثني عشر الفاً من الوثنيين فضلاً عن المرشَّحين للدخول في طريقتهم . وهم فريقان فريقٌ ينتشرون فُرادَى فلا يأْوون الى وطن مخصوص وليس لهم جمعيةٌ تضمهم وهم يمشون عُراةً وفي يد كلٍّ منهم هراوةٌ ضخمة قد عُلّق عليها خِرَق مختلفة الالوان ولا ينامون على فراش ولا غطآء لهم الا السمآء ولا يوقدون نارهم بالحطب بل بجَلّة البقر اليابسة وهو عندهم ضربٌ من العبادة لان للبقر اعظم حرمة في الهند .

وهم يستبيحون جميع المنكرات والكبائر ويستحلُّون كل نوعٍ من المحرَّمات ولذلك لا تؤمن غائلتهم اذا صادفوا احداً في موضعٍ منفرد فانهم لا يكتفون بسلب مالهِ ولكنهم يقتلونهُ خوف تبِعةٍ تلحقهم اذا تركوهُ حياً

والفريق الثاني يتألفون عصاباتٍ لكل عصابةٍ منهم رئيس وهم يكتسون بخلاف اولئك ويتخذون ملابسهم من خِرَقٍ بالية مختلفة الالوان ويكون ثوب رئيسهم ارثّ من ثياب سائرهم وهو ينوط سلسلةً طويلة باحدى ساقيهِ فاذا صلّى قعقع بتلك السلسلة . ولهذه الطائفة حرمةٌ عظيمة عند العامّة وهم يأكلون على موائد المؤمنين وحيثما ساروا يلتفّ الجماهير حول رئيسهم ويركعون امامهُ ويقبّلون قدميهِ ونعليهِ ويُدرّون عليهِ مبرّاتهم ويسترشدونهُ في امور دنياهم وآخرتهم وعندهُ رُقًى لاصحاب الزمانات وللنسآء العواقر ولهم بهذه الرقى ايمان وطيد .

ومنهم من ينتظم بما يشبه انتظام الجيش فيحملون الرماح وغيرها من

السلاح واذا مشوا رفعوا لهم رايةً وساروا على اصوات الابواق واذا سافروا من بلدٍ ضربوا الطبول اعلاناً برحيلهم وكذلك يفعلون اذا بلغوا المكان الذي يقصدونهُ.

وللوثنيين منهم شعائر غريبة في الدين واقدامٌ على تعذيب اجسادهم بما يفوت طور الاحتمال وهؤلآء هم المسمَّون بالجوكية . فمنهم من يقضي نهارهُ وليلهُ واقفاً او جالساً فلا يتغير عن تلك الحال ولا يتحرك من مكانهِ وينام وهو كذلك حتى روى البروفسور مونيار وِليَم انهُ رأى في مدينة الله آباد رجلاً جالساً منذ خمسين سنة على قاعدة من الحجر معرَّضاً للشمس والريح والمطر فلا يتحرَّك الا مرةً واحدة في اليوم يذهب بهِ مريدوهُ الى نهر الكنج المقدَّس فينغمس فيهِ ثم يردونهُ الى مكانهِ . ومنهم من يرفع يديهِ في الهوآء ويلبث كذلك الى ان يموت فلا ينزلهما البتة ولا يزايل موقفهُ ليلاً ولا نهاراً ويقاسي ألم البرد والحرّ ولسع الهوامّ ولا يمدّ يدهُ لطردها . ورؤي منهم من نذر على نفسهِ الانقطاع عن الكلام مدة اثنتي عشرة سنة وآخرون يضعون النار على رؤوسهم ويلبثون كذلك حتى تحرق الجلد واللحم وتبلغ العظم . وروى احد السُيّاح الانكليز القصة الآتية قال ان احد أولئك الجوكية لبث واقفاً على ساقيهِ مدة اثنتي عشرة سنةً لا يقعد ولا يضطجع وهي الدرجة الاولى . ثم انتقل الى الدرجة الثانية فشبك يديهِ على رأسهِ وضمّ اصابعهُ على الكفيّن واقام على ذلك اثنتي عشرة سنةً اخرى وقد طالت اظفارهُ حتى دخلت في لحم يديهِ كالمسامير . وبقي عليهِ بعد ذلك درجةٌ ثالثة وهي ان يمشي بين خمس نيران اربعٌ منها للرياح الاربع

والخامسة للشمس لكنهُ لم يأتِ عليهِ نصف ساعة حتى سال الدم من جميع اعضآئهِ وأُخِذ ميتاً . والحكايات من امثال ذلك اكثر من ان تُحصَى

الا ان كل هذا على تناهيهِ في الغرابة ليس فيهِ الا الصبر على الآلام البدنية طمعاً فيما ورآء ذلك من الحصول على السعادة الأُخروية والمثول بالحضرة البَرَهْمية ومثل هذا يفعلهُ كثيرون من المهوَّسين في امر الدين من اهل كل مذهب . لكن هناك اموراً تفوق طور الطبيعة وذلك كما رواهُ المستر اسبورن احد موظفي الانكليز بالهند سنة ١٨٣٨ من ان جوكيًّا دفن نفسهُ في الحياة واقام عدة اسابيع بل عدة اشهر تحت الارض ببضعة امتار ثم أُخرج حيًّا . وقد تقدم ما يقرب من هذه الرواية عن ابن بطوطة وتواتر مثلها على ألسنة كثير من السيّاح في اعصار مختلفة ممن لا يُشَكّ في صدقهم ولا تجوز عليهم الخزعبلات المموَّهة . على انهُ يُذكَر ان بعض الاوربيين عرضوا على احد هؤلآء الجوكية ان يدفن نفسهُ ويسلّم مفتاح القبر الذي يُبنى لهُ الى أُناسٍ من قِبَلهم ووعدوهُ على ذلك بجائزةٍ طائلة فامتنع فاستدلّوا من ذلك على ان في الامر تدبيراً احتياليًّا على حدّ سائر الاعمال الموهمة من شبه السحر . لكن بقي هناك ما لا يحتمل هذا الفرض كمسئلة الارتفاع عن الارض وحكاية التفاح البرازيلي وغيرهما مما ذُكر قبلاً وآخر ما ذهب اليهِ اصحاب الحدس ان هذه الامور تتمّ بواسطة عاملٍ مغناطيسي يتسلط بهِ الجوكيّ على اوهام الحضور ويصوّر لهم ما لا حقيقة لهُ على نحو ما يجري في حال التنويم الصناعي ولعلّ هذا اقرب ما يكون الى الحقيقة وان لم يتوصلوا الى معرفة سرّهِ والله اعلم

اثرٌ ثمين

وقع الينا الكتاب الآتية صورتهُ وقد بعث بهِ المرحوم محمد علي باشا رأس الأُسرة الخديوية في القطر المصري الى المرحوم السيد سعيد بن سلطان جد الأُسرة المالكة في زنجبار ومسقط يخبرهُ بما كان من امر ولدهِ ابرهيم باشا في حرب جدّة والمورة وقد تفضل علينا بهذا الكتاب حضرة الفاضل اللوذعيّ السيد صالح بن عليّ من متوظفي الوكالة البريطانية في زنجبار فنشرناه بصورتهِ الخطية ليكون من الآثار المصرية الخالدة ونحن نرفع الى حضرة مهديهِ خالص شكرنا على ما اطرفنا بهِ من هذه التحفة النفيسة وهذه صورة الكتاب

الى جناب السيد سعيد بن سلطان لا زال محفوظا معانا

الى حضرة معدن الفخر والسياده صاحب ذيال العز والسعاده الحبر الهمام الاكرم الامام بن الامام الافخم

بعد اهدا درر التحيات المعطره الناشيه عن قواعد المحبة والوداد واداء غرر تسليمات عاطرة طيبة نفحات عبير المودة

والاتحاد وبث تباريح الاشواق الوفيه الى التملي بمشاهدة فوائد طلعتكم البهيه ذات المعالي والاسعاد الباعث

لترقيم قايمة الوداد والخلوص ومجالي المخصوص اولا انتقاد بخاطركم الكريم العاطر لا زال محفوظا بالسعد فالخلوص خفا

ما تيا بندي التحاب انه بايمن وقت وان وفد علينا كتابكم الكريم المتحلي بعقد فرايد الدر النظيم وكافة ما

ابديتموه من لوازم المحبة والموالاة ومراسم التحية والمصافاة قد صار معلوم وفاد الاذعان المفهوم ثم

قد فهمنا ايضا ما ذكرتموه بحكم الصعبة عن كيفية حال تركي الذميم الحقير فنخبركم ان الله سبحانه وتعالى قد تفضل

وتكرم وفاض بفيض فضله واتم بابها بالنصر والظفر الى عساكرنا المنصورة التي تحت رايات سعادة ولدنا

الوزير الخطير وقت جده وموده فتحوا القلاع والبلاد ودمروا اهل البغي والفساد وتبادرت حضرة ولدنا

بنبأ فتوح الحصن الحصين معقل الكفار الخاسرين وهو قلعة سوبك قهرا عنوة وبعد هذه لم يتجه كيف ما

سوى تحلية مستدعيه البواد فانشا الروح الكريم وتجدد روحانية دولته المعظم بمدة وجيزة من الايام

تنهي عاقبة الكفرة الاروام واذ ذاك نبادر القلع انادشعي تركي نسل الخوارج الفجار وتحل به ما حل بقومه و

اهل قبيلته البوار والدمار ولاجل ذلك وخاصة لاجل تاكيد مباني المحبة وتوطيد معاني التحية والصحبة

اقتضى ترقيم وتبرة الاقلام فنروم دوام مواصلة رسايل الولاء والافادة عن كلما يحدث من الحوادث هناك

ودمتم محفوظين والسلام ختام ٢٦ شوال [illegible]

الصحافة في الغرب

(تابع لما في الجزء الرابع)

اوردنا فيما سبق من هذه المجلة فصلاً بعنوان الصحافة في الغرب اشرنا فيهِ الى اهمية فن الاعلانات وفن التصوير الهزلي في جرائد اوربا واميركا وذكرنا ما بلغت اليهِ الاعلانات من التفنن والانتشار وما كان لها من الدخل الواسع حتى اصبحت بحيث لو أُهمِلت لسقط كثيرٌ من الجرائد المهمة لانها ينبوع دخلها وسبب قيامها

واما فن التصوير الهزلي فهو اقلّ شيوعاً من الاعلانات لانهُ يتعلق بحوادث مخصوصة ولما يستلزمهُ من النفقات ولا سيما في وضع الصور على وجهٍ يفي بالمقصود منها لانها تقتضي من دقة الفكر وقوة التصور ما لا يقتضيهِ تصوير الاشياء بهيئاتها الحقيقية . ومن الجرائد التي اشتهرت بهذا الفنّ جريدة « پنتش » وجريدة « تريبيون » وغيرهما . ولا يخفى ان لهذه الصور وقعاً عظيماً في النفوس لان كلاً من الأُميّ والمتعلم يفهم مغزاها وهي كثيراً ما تمثّل الحوادث الجارية ونتائجها بما لا يمثّلهُ ابلغ الكلام فضلاً عن انها لا تشغل من المكان ما يشغلهُ الكلام الذي تمثلهُ

وقد كان التصوير الهزلي معروفاً في القديم بل كان بالغاً حدًّا من الاتقان لم يبلغهُ المتاخرون وذلك لانهُ في الحقيقة ضربٌ من الكتابة الهيروغليفية التي اتقنها الاقدمون . وقد أُخذت اصولهُ عن التشخيص الهزلي (الكوميديا) فكانوا في القديم يصوّرون المشخصين والمشخصات

في ادوارهم الهزلية ثم توسعوا في ذلك حتى لقد يتجاوزون حدود النزاهة والظرف . وقد وُجد بعض الصور الهزلية على ورق البَرْديّ المصري القديم وعلى اوانٍ يونانية قديمة وجدران بعض البيوت في رومية وپومپّاي وغيرها واكثرها بالغ غاية الاحكام والاتقان . ويقال ان اليونانيين صوروا قديماً رواية روميو وجوليت صوراً هزلية

وزاد اختراع الطباعة في اتقان هذا الفن حتى قال بعضهم ان التصوير الهزلي لم يشع في اورّپا الا بعد القرن الخامس عشر للميلاد واول من نبغ فيهِ لذلك العهد هولبين وكراناخ . وعند ظهور لوثيروس اخذ اضداده ُيصوّرونه ُصوراً هزلية هو واشياعهُ ولا تزال تلك الصور محفوظة الى هذا اليوم

واخذ المصوّرون بعد ذلك يزدادون تفنناً في هذا النوع من التصوير واشتهر منهم في العصور المتأخرة عددٌ كبير فاقوا المتقدمين منهم هُوجَرْث ورولنسن وكروكشنك ولندْسِير وريشارد وبرون وجولد وغيرهم . فكان هؤلآء يشخصون الهيئة الاجتماعية ومساوئها في جميع الممالك بصور هزلية حتى كانت بعض الجرائد تنقدهم المئات من الليرات عن الصورة الواحدة لتطبعها على صفحاتها

ومن الامم التي برعت في فن التصوير الهزلي امة اليابان وقد نقلت احدى الجرائد الانكليزية عن جريدة يابانية صورة هزلية تمثل رجلاً (يُقصد بهِ الميكادو) قد صرع آخر (يقصد بهِ قيصر روسيا) ورجلاً ثالثا (يقصد بهِ اميركا) في ثياب مضحكة وعليهِ قبعة قد لبسها بهيئةٍ ما بعدها

هيئة ادعى الى الضحك . وقد وضع يديهِ في جيبي ثوبهِ ومدّ عنقهُ الى الشخص الاول يلتمس منهُ ان يكفّ عن ضرب الثـاني . فيسألهُ الاول « وما شأنك انت ؟ » فيجيبهُ بكل خشوع وتواضع « انني يا سيدي من جمعية الرفق بالحيوانات »

ومن ذلك صورة قائدٍ يعرض عشرة من الجنود وقد اقامهم صفاً واحداً كتفاً الى كتف ووقف هو عنـد طرف الصف ليرى هل هو مستقيم . فيرى الجندي الخامس ذا بطنٍ كبيرٍ جدًّا بارزٍ عن الخط فيناديهِ ليرجع خطوةً الى الوراء فيبرز ظهرهُ وراء الخط فيحار القائد في امرهِ

والصُوَر من هذا النوع لا تُحصَى نشاهد منها كل يومٍ في الجرائد الغربية ما يضحك الثكلى الا انها ربما اساءَت احياناً بأن تتخذ من يكون جديراً بالتجلّة والاحترام موضوعاً للهزؤ والسخرية ولعل لنا في ذلك بعض التعزية عما نراهُ في بلادنا من فوضى الكتاب ولا سيما في هذه الايام

سليم عبد الاحد

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الافادة عن لفظ « الساقية » المستعمل في هذه البلاد وهي المعروفة في الديار الشامية بالناعورة و « الدولاب » وهو هذا المستدير الذي يكون في الساقية او الناعورة و « القصّابية » وهي ما تسوّى بها الارض بعد الحراثة وتسمى في البلاد الشامية بالجرّافة ايّ هذه الالفاظ

اصحّ وهل هي عربية فصيحة أو عاميّة وان كانت كلها أو بعضها عاميّة فما هي مرادفاتها من الفصيح أو ما يصح استعمالهُ اليوم والرجآء ايراد النصوص على ذلك كلهِ ولكم الفضل احد المشتركين

الجواب – اما الساقية فالذي في كتب اللغة انها « النهر الصغير من سواقي الزرع » قال في تاج العروس « والآن يطلقونها على ما يُستقَى عليهِ بالسواني » اي على الناعورة وهي اللفظ الصحيح في هذا المعنى . لكن من الغريب انهم عرّفوا الناعورة بانها « واحدة النواعير التي يُستقَى بها يديرها المآء » وقد ورد هذا التعبير في لسان العرب وتاج العروس والمصباح وما ندري كيف ذلك . والصحيح ما ذكرهُ صاحب تاج العروس في الكلام على الساقية من انهُ يُستقَى عليها بالسواني اي البهائم ومنهُ المثل « سير السواني سفرٌ لا ينقطع » قال في مجمع الامثال السواني الابل يُستقَى عليها المآء من الدواليب فهي ابداً تسير . اه

واما الدولاب فعرَّفهُ صاحب القاموس بأنهُ « شكلٌ كالناعورة » . قال في تاج العروس « وهي (اي الناعورة) الساقية عند العامّة أو هو الناعورة بنفسها على الاصحّ » . اه . وهو فارسيٌّ معرَّب كما ذكرهُ صاحب اللسان عن المحكم وبهِ صرّح عاصم في ترجمة القاموس وفرق بين الدولاب والناعورة بأن الناعورة الدولاب الكبير

واما القصّابية فهي وضعٌ عاميّ ليس في اللغة ما يناسبهُ وبخلافها الجرّافة فانها اصحّ وضعاً وان لم يرد بها نقلٌ عن العرب ولذلك تُحسَب من المولَّد خلافاً لصاحب تاج العروس حيث عدّها عاميّة وصحة ضبطها

بفتح الجيم لا بضمها خلافاً لهُ ايضاً لانها في الاصل وصف مبالغة . واما اللفظ الذي كانت تستعملهُ العرب لهذا المعنى فلم يتفق لنا العثور عليهِ ولعلهم كانوا يستعملون لهُ المِسلفَة من قولهم سَلَفَ الارض اي حوّلهـا للزرع وسوّاها . الا ان تفسير المسلفة في كتب اللغة لا ينطبق على ما ذُكر من معنى الفعل فقد ذكر في لسان العرب انها ما تسوَّى بهِ الارض من حجارةٍ ونحوها واقرب ما يؤخذ من هذا التفسير ان المراد بتسوية الارض تحصيبها اي فرشها بالحجارة لكن ينافيهِ قولهم في تفسير سَلَف الارض حوّلها للزرع . وذلك فضلاً عن ان مقتضى التفسير المذكور جعل المسلفة حجارةً كثيرة وجعل هذه الحجارة آلةً للسَلْف وكلاهما كما تراهُ . وقال الاصمعي ويقـال للحجر الذي تسوَّى بهِ الارض مسلفة فجعلها هنا حجراً لا حجارة . قال ابو عبيد واحسبهُ حجراً مُدمَجاً يُدحرَج بهِ على الارض لتستوي ومقتضى هـذا القول ان المراد بالتسوية توطيد الارض لازالة ما بها من التعادي وهذا ايضاً لا يناسب ما تقدم في تفسير الفعل . وحينئذٍ فالاظهر ان للمسلفة معنيين احدهما ما ذكرهُ الاصمعي والآخر ما يؤخذ من تفسيرهم الفعل بمعنى تحويل الارض للزرع وتسويتها فتكون بمعنى القصّابية او الجرّافة والله اعلم

استدراك

جاءنا من حضرة العلاّمة السيد ابي الفضل الايراني البهآئي نزيل مصر تصحيحٌ لما ذكرناهُ في الجزء الرابع من هذه السنة (ص١١٦) من

ضبط كلمة برزجمهر . ومفاد ما تفضل بهِ ان هذا الاسم مركب من كلمتين وهما بُزُرْگ بضم اولهِ وثانيهِ ومعناهُ كبير ومِهْر بكسر اولهِ وسكون ثانيهِ وهو يجيءُ بمعنى الشمس وبمعنى الحبّ ولعلّ هذا الثاني هو المقصود في اسم الحكيم المذكور . انتهى بمعناهُ

قلنا وقد جرت عادة العرب في الاسمآء الاعجمية المركبة ان تردّها الى المركَّب المزجيّ فتفتح آخر اللفظ الاول منها كما في بعلبَكّ ورامَهُرْمُز واشباههما وعليهِ فضبط الاسم المذكور « بُزُرْجَمِهر » بضمتين فسكون ثم بفتحٍ فكسر وسكون الهآء

آثار ادبيّة

مجلة الشتآء — هي مجلة علمية ادبية تاريخية فكاهية شعرية ينشئها حضرة اللوذعيّ الكاتب الشاعر صاحب السعادة سليم بك عنحوري نزيل مصر وهي شهرية تظهر شتآءً وتحتجب صيفاً وقد وقفنا على الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدة مقالات مفيدة ونُبَذ رائقة من المنثور والمنظوم وفيما اشتهر بهِ منشئها الفاضل من البراعة والتفنن في اساليب الكتابة ما يدعو المتأدبين الى الاقبال عليها ويضمن لها مزيد الرواج وقيمة الاشتراك فيها عن المدة المذكورة اربعون غرشاً مصرياً

فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ١٤ —

كنت في ذات يوم مع رفيقي الماجور شربنتير فرأينا المارشال مكدونلد قادماً الينا فقال بصوت اجش مقتضب ايها الكولونل جيرار وانت ايها الماجور شربنتير ان الامبراطور يطالبكما لقضاء أمرمهم . ولما قال هذا سار امامنا حتى بلغ غرفة الامبراطور ففتح بابها و بعد ان اخبر نابوليون بحضورنا استدعانا فدخلنا . وكان نابوليون واقفاً بجانب الغرفة امام خريطة معلقة في الحائط والى جانبهِ برتيه وهو يدلهُ بسيفهِ على الخريطة ويكلمهُ بصوت منخفض . ولما شعر بدخولنا تقدم برتيه لمقابلتنا فاستوقفهُ الامبراطور وأشار الينا بالتقدم ثم نظر اليَّ وقال انك لم تحصل بعد على وسام جوقة الشرف يا جيرار . قلت لا يا مولاي وأردت ان اتم كلامي واخبرهُ ان عدم حصولي عليهِ لم يكن لانني لم استحقهُ ولكنهُ قاطعني مردداً نفس السؤال للماجور شربنتير فاجابهُ مثلي . فقال اذاً امام كليكما هذا الوسام اذا عرفتما ان تنالاهُ . ثم التفت الى الخريطة ووضع طرف السيف على مدينة ريمس وقال انني اذكر صدق خدمتكما مذ كنتما معي في مارنغو ولذلك اكاشفكما بما في نفسي بكل وضوح . هذه مدينة ريمس محل معسكرنا الحالي وهذه باريس تبعد عنا خمساً وعشرين غلوة وهنا يعسكر بلوخر الى الشمال وشوارزنبرج الى الجنوب . وكان يمشّي طرف السيف على الخطوط التي يذكرها . ثم استأنف حديثهُ فقال ولا يخفى انهُ كلما اوغل هذان في داخل البلاد كان سحقهما اسهل عليَّ . وهما ينويان الزحف الى باريس فليفعلا فان اخي ملك اسبانيا يكون في انتظارهما بمئة الف مقاتل وهو الشخص الذي

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ارسلكما اليهِ في هذه المهمة فلابد من ايصال رسالتي اليهِ وقد كتبت منها صورتين اسلم كلاًّ منكما واحدة ومفاد الرسالة انني اعلمهُ بقدومي اليهِ لمساعدتهِ فاكون عندهُ بعد يومين برجالي وفرساني ومدافعي

أما انا فلا اقدر ان اصف لكم ما بان على وجهي من علامات التيه والعظمة حين اطلعنا الامبراطور على ما ينويهِ ولم يكد يسلم كلا منا صورة من الرسالة المذكورة حتى ضممت احدى رجليَّ الى الاخرى وابرزت صدري وحنيت رأسي مسلماً وفي عينيَّ ما يقول للامبراطور المحبوب انني اقوم بما يريد ولو اعترضني الانس والجان . ولحظ ذلك مني فوضع يدهُ السمينة على قبعتي متبسماً فشعرت انني ملكت الدنيا بأسرها وودت لو اخسر ما املكهُ وتكون والدتي ناظرة اليَّ في تلك الدقيقة. ثم قال لنا بقي عليَّ ان اريكما الطريق التي ينبغي ان تسيرا فيها وعاد الى الخريطة فقال وهو يشير عليها انكما تذهبان معاً من هنا الى بازوش ثم تفترقان فيذهب احدكما عن طريق اولشي ونايلي والآخر عن طريق براين وسواسون وسنليس فهل لك ما تقولهُ يا جيرار . فلم اعلم ما اقول ولكن نزق الشبيبة وما خامرني من الاعتزاز بالنعمة التي حصلت عليها جعلني افوه ببعض كلمات تدل على تفانيَّ في خدمتهِ وخدمة فرنسا . فقاطعني واعاد سؤالهُ لرفيقي فاجابهُ ذاك قائلاً اذا رأينا الطريق خطرة يا مولاي فهل تطلق لنا الحرية في اختيار غيرها . فاظهر نابوليون علامة الاشمئزاز وقال ان على الجنود الطاعة وليس لهم الاختيار . ولما قال ذلك حوَّل ظهرهُ اشعاراً لنا بلزوم الانصراف ثم جعل يكلم برتيه فسمعتهما يقهقهان ولكنني لم افهم من حديثهما شيئاً

اما نحن فخرجنا ولم نضيع شيئاً من الوقت وفي اقل من نصف ساعة كنا سائرين على جوادينا خارجين من ريمس . وكنت راكباً فرسي الصغيرة ڤيوليت وهي اسرع عدواً من خيول كتائب الفرسان الستة بل هي التي فازت على جواد الدوق روفيكو المشهور بالسباق . اما شربنتير فكان ممتطياً جواداً من خيل الفرسان المدرعة وهو كبير الجسم ظهرهُ كالسرير وقوائمهُ كالاعمدة وكان هو كبير الجسم ايضاً

حتى خلتهُ بجانبي جبلاً يتحرك . ومع ذلك فانهُ كان يسابقني في التبسم الى الفتيات اللواتي كنَّ يودعنني بتحريك مناديلهنَّ من نوافذ البيوت وقد ظنَّ انهنَّ انما يفعلنَ ذلك لهُ . ولم نزل كذلك حتى خرجنا من البلدة فاجتزنا محل القتال بالامس وكان لا يزال مغطى بجثث عساكرنا وعساكر اعدآئنا الروس ثم القيت نظراً الى معسكرنا فوجدتهُ لم يبقَ منهُ الا شراذم غير كاملة واكثر صفوفهِ ناقصة وعددهُ قليل . فلما تفكرت في وجودهِ على هذه الحالة بين ثمانين الف بروسي شمالاً ومئة وخمسين الف روسي ونمسوي جنوباً لم اتمالك ان ذرفت دموع اليأس والحزن ولكنني تذكرت للحال ان نابوليون لا يزال بين الجنود الباقية وانهُ منذ هنيهة قد وضع يدهُ على قبعتي ووعدني بوسام جوقة الشرف فتحول قنوطي الى سرور فجعلت اغني بأعلى صوتي ثم اطلقت لفرسي العنان فطارت بي حتى جعل شر بنتير يناديني لانتظرهُ وهو يتبعني بجوادهِ الكبير كالجمل وهما ينفخان ويلهثان

. ولم يكن شر بنتير صديقاً حميماً لي فقطعنا مسافة عشرين ميلاً وانا لم استفد شيئاً من مرافقتهِ لانهُ كان لا يتكلم وقد اكبّ بذقنهِ على صدرهِ وغرق في التفكر وكنت من حين الى آخر اكلمهُ فلا يجاوب كانهُ آلة صمآء تتحرك بغير ارادتها . وما صدقت ان بلغنا بازوش حيث اذهب شمالاً ويذهب جنوباً ولكنهُ ادار جسمهُ على سرج جوادهِ وقال لي ماذا تظن في هذه المهمة يا جيرار . قلت انها في نهاية البساطة. قال ولمَ اطلعنا الامبراطور على نيتهِ . قلت لانهُ يعرف ذكآءنا . قال واذا صادفت في طريقك عساكر البروسيين فماذا تفعل . قلت اتابع مسيري بموجب الاوامر المعطاة لي. قال ولكن ربما قتلوك. قلت هذا لا يبعد . فقهقه ضاحكاً ضحكةً مستطيلة غاظتني حتى وضعت يدي على مقبض حسامي ولكنهُ لم ينتظر لحظة اخرى بل ساق جوادهُ وانطلق في الطريق الثانية . ولما ابعد تحولت بفرسي الى الطريق الاخرى وسرت فيها وانا واضع يدي على الرسالة المودعة في صدري لاتحقق وجودها وقد تيقنت انها ستتحول الى الوسام الموعود وجعلت افكر في ما تقولهُ والدتي اذا رأتهُ على صدري . وما زلت في هذه الافكار حتى بلغت براين ثم سرموايز فترجلت

وقدمت لفرسي عليقاً في فندق بجانب سواسون. وفي اثنآء ذلك علمت من صاحب الفندق ان بلوخر معسكرٌ هناكَ منذ يومين فتعجبت جدًّا كيف اختار الامبراطور مع علمهِ بذلك ان يرسلني في الطريق النازلة فيها الاعدآء ولكنني تذكرت قولهُ لشربنتير ان على الجندي ان يطيع وليس لهُ ان يختار فصرفت من ذهني كل اعتراض وقلت لا بد لي من التقدم ما دام في فرسي نفس وفي يدي قوة لضبط اللجام. ثم اخذت غدارتي بيدي اليمنى ولم اتركها في كل المسافة بين سرموايز وسواسون وانا اجدّ في السهول وابطئ في المنعرجات والهضاب. ولما بلغت الجسر الخشبي قابلتني امرأة واخبرتني ان البروسيين قد احتلوا سواسون وان فرقة منهم قد دخلتها في ذلك النهار وسيدخلها باقي الجيش قبل نصف الليل فلم اقف لاسمع بقية الحديث بل وخزت فرسي بالمهماز وفي اقل من خمس دقائق بلغت المدينة. فلقيت في اول شارع من شوارعها ثلاثة فرسان من الالمان يتحادثون ولكنهم لم يكادوا يشعرون بقدومي حتى مرت فرسي ڤيوليت امامهم مرور السهم وما بلغت وسط المدينة حتى رأيت كثيرين من أولئك الفرسان فصممت ان اجتازهم واصابت ڤيوليت احدهم بكتفها فألقتهُ الى الارض وطعنت بسيفي آخر فاخطأتهُ ثم قرع اذني طلقتان ناريتان ولكنني كنت قد اخذت طريقاً منحرفاً الى اليسار فذهبتا في الهوآء. وكانت ڤيوليت تقدح حوافرها ناراً وانا واقف على الركاب وحسامي مصلت بيدي فاستقبلني غيرهم وتقدم احدهم ليمسك اللجام فبترت ذراعهُ واطبق عليَّ فارسان آخران فارديت الواحد وسبقت الآخر. وبعد دقيقتين خرجت من الجهة الثانية من المدينة كالطائر السريع وطاردني بعضهم مسافة ولكنني كنت اسمع وقع حوافر جيادهم يضعف شيئاً فشيئاً حتى لم اعد افرقهُ من ضربات قلبي. واذ ذاك وقفت لاريح ڤيوليت قليلاً ولم اعد اسمع شيئاً فتحققت اني قد نجوت وانهم كفوا عن اللحاق بي فترجلت وقدت ڤيوليت الى غابةٍ فيها مجرى مياه عذبة فسقيتها وغسلتها واطعمتها قطعتين من السكر بعد ان صببت عليهما قليلاً من الكنياك وفي اقل من خمس دقائق جعلت تنظر اليَّ كأنها لم تتعب قط او كأنها

خارجة من الاصطبل مستعدة لتطير بي الى آخر العمور . فتابعت مسيري وعلمت مما كنت اسمعهُ من اغاني الالمان وصياحهم على جانبي الطريق ورآء الاشجار انني في وسط بقعة تملأ ها جنودهم . فجعلت اسرح النظر الى تلك الجهات فارى في مواقع مختلفة النيران التي اضرمتها الجنود ولكنني لم اهتم بها وتصورت ان صديقةً لي تدعى ليزيت ستقابلني في باريس وكم يسرها قدومي وغرقت في هذه التصورات فلم اشعر الا وقد بلغت عطفةً ورأيت امام وجهي ستة من فرسان الالمان جالسين حول النار بجانب الطريق

انني بعيد عن الادّعاء ولكنني لا اقدر الا ان احكي الحقيقة فانني كنت لا اماثَل في سرعة التصور واقرر في لحظة ما يلزم غيري اسبوع للتبصر فيهِ فعلمت للحال انهم لا بد لهم من مطاردتي ففضلت ان يطاردوني الى الامام الى جهة سنليس ولا يطاردوني رجوعاً الى سواسون . كل ذلك مر امام مخيلتي بسرعة البرق فغمزت خاصرتي ڤيوليت بالمهماز فمرت بي مرور الرصاص وسمعت ثلاث طلقات دوت ورآئي وثلاثة فرسان يصيحون و يسرعون في امتطاء جيادهم للحاق بي فنظرت اليهم ضاحكاً وصحت بأعلى صوتي ليحيَ الامبراطور . ولو لم تكن ڤيوليت قد تعبت جدًّا لتمكنت من سبقهم خمسة اضعاف غير انها لم تستطع ذلك امام جيادهم المستريحة . ولما نظرت ورآئي رأيت فتىً منهم على بعد نحو مئتي يرد مني وفارسين ورآءهُ . وكان الفتى الاول يسبق رفيقيهِ حتى اذا صار قريباً مني جعلت اخفف من سير فرسي شيئاً فشيئاً لاقنعهُ انهُ سيدركني ثم اخذت غدارتي فاصلحتها والتفتُّ اليهِ فرأيتهُ شاهراً سيفهُ وهو يتهددني بهِ . اما انا فصوبت الغدارة الى وجههِ ولكنهُ خطر لي للحال انهُ ربما يكون لهُ والدة تنتظر عودتهُ اليها فغيرت وجهة الغدارة واطلقت الرصاصة على كتف جوادهِ فسقط . اما الاثنان الباقيان فلم يزالا يجدان حتى مرّا برفيقهما فلم يهمهما امرهُ كانهُ لم يكن وكنت قد سبقتهما مسافة بعيدة حتى ترجح لي انهما سيعودان عن لحاقي فاستوقفت فرسي ولكن لم يكن الا القليل حتى رأيتهما قادمين عن بعد وعلمت انهُ لا يزال امام ڤيوليت شوطٌ بعيد فاطلقت

لها العنان وانا موءكد انني سأتخلص منهما هذه المرة .غير انني لم ابتعد كثيراً حتى رأيت امامي على مسافة بعيدة في آخر الطريق فرقة من الجنود عرفت للحال انها من الهوسار فايقنت بالهلكة لان الهوسار امامي والدراغون ورآئي ولم اقع في مثل ذلك الخطر الجسيم بعد مغادرتي موسكو. لكنني آثرت ان احافظ على شرفي فلا اقف ولا ارجع مفضلاً ان تقطعني سيوف الهوسار على ان اظهر الجبن والخوف ولذلك وخزت ڤيوليت بالمهماز فوثبت الى الامام واذا بكلام باللغة الفرنسوية قد قرع سمعي فعلمت للحال ان فرقة الهوسار التي امامي هي فرنسوية من جنود مرمونت وليست المانية فحمدت الله وتقدمت اليهـا ساكن الجأش ونظرت الى مطارِدَيَّ فرأيتهما قد لاذا بالفرار

وكان قائد الهوسار صديقي بوقيه الذي انقذتهُ في ليبسك فاستقبلني بسرور ولما اعلمتهُ اني اقصد سنليس قال يستحيل ذلك. لان الاعدآء حالّون فيها وأشار عليّ أن اقصد باريس من طريق آخر . فقلت لهُ ان الاوامر المعطاة لي تقضي عليَّ بالذهاب الى سنليس والجندي عليهِ ان يطيع وليس لهُ ان يختار . قال اذا كان كذلك فاننا نذهب برفقتك وهكذا سرت وسار بوقيه بفرقتهِ معي في سكون الليل حتى لاح لنا الفجر بالقرب من سنليس فلقينا فلاحاً اخبرنا بأحوال البلدة وان فيها كتيبةً من القوزاق معسكرة في بيت الحاكم عند زاوية سوقها وفرقة من مشـاة الالمان في غابةٍ شمالي البلدة . ولما فهمنا ذلك وكنا قد ارحنا خيولنا دخلنا البلدة هاجمين الى بيت الحاكم قبل ان يحلم احدهم بوجود الجنود الفرنسوية بالقرب منهم ولما أطبقنا عليهم نهض الاهلون لمساعدتنا لانهم يكرهون القوزاق فحصلت معركة عظيمة لم ينجُ فيها احدٌ من الروسيين . ولما قطعنا دابرهم واحتللنا المنزل اخذت انآء فيهِ مآء فسقيت ڤيوليت ووضعت امامها شيئاً من العليق ثم دخلت لاتناول شيئاً من الزاد يكفيني الى ان ابلغ باريس فوجدت بوقيه بانتظاري وعرض عليَّ ان نشرب معاً زجاجة خمر فقلت لا بأس ولكن اين الخمر . قال لا يصعب علينا ان نجدها فان الحاكم اشتهر بحفظ اجود انواعهـا في بيتهِ . ثم أخذ شمعة ونزل امامي سلماً فتبعتهُ

وانتهينا الى سلم آخر داخل المنزل نزلنا منهُ الى قبو القصر فوجدناهُ ملآن بزجاجات الخمر وقد وُضع كل صنفٍ على حدةٍ . وانتهى بحثنا بان وجدنا صنفاً من البرغندي فمد بوقيه يدهُ لاخذ واحدة منها واذا بصوت طلقات البنادق قد كاد يصم آذانـنا فعلمنا ان الفرقة الالمانية المعسكرة في الغابة قد علمت بقدومنا فاطبقت علينا. ولا انكر شجاعة بوقيه عند سماعهِ ذلك فانهُ استل سيفهُ واسرع في الصعود فتبعتهُ ولكننا لم نبلغ آخر السلم الاول حتى فهمت من الاصوات والجلبة ان الالمان قد قهروا الهوسار واحتلوا المنزل عوضاً عنهم فامسكت بيد بوقيه وقلت لهُ لم يبقَ لرجوعنا من فائدة فلنسعَ بالخلاص . فقال كلا فقد قتلوا رفاقي وانا باقٍ في الحياة فيجب ان يقتلوني ولما قال هذا تخلص مني ووثب الى الاعلى . وكنت اكون قد فعلت فعلهُ لو لم اتذكر ان معي رسالة يجب ان احاذر الخطر ما امكن محافظةً عليها فتركت بوقيه يذهب لملاقاة حمامهِ ورجعت الى القبو فاقفلت بابهُ ورآئي . وكان بوقيه قد رمى الشمعة الى الارض قبل خروجهِ فانطفأت ووجدت نفسي في ظلام دامس و بعد التلمس مدة عثرت عليها فاشعلتها ولكن ما الفائدة وانا سجينٌ وفوقي عساكر الالمان تصيح فرحاً وانتصاراً فايقنت انني هالك . وتمثلت امامي والدتي والوسام والامبراطور فاعارني ذلك حماسةً جديدة فوقفت وقلت تشجع ياجيرار فان نهاية اعمالك لم تأتِ بعد . وخطر لي لاول وهلة ان اضرم البيت بمن فيهِ وانجو في وسط الجلبة والاختلاط ثم اقلعت عن هذا الخاطر وفكرت في الاختفاء ضمن احد براميل الخمر الفارغة حتى اذا اتم الالمان عملهم وغادروا البيت اخرج متستراً . وبينما انا ابحث عن برميل فارغ رأيت في الجدار باباً لم اكن قد رأيتهُ قبلاً فاقتربت لارى الى اين يوصل فوجدتهُ مفتوحاً ولما دفعتهُ رأيت كأن شيئاً يسندهُ من الداخل . فجمعت قواي ودفعتهُ بعنف فانفتح وسقطت الى الارض فوقعت الشمعة من يدي وانطفأت فعدت ثانيةً الى الظلمة. وكان هذا المكان الثاني قبواً شبه الاول ولهُ نافذة صغيرة ينبعث منها نور القمر فتمكنت بواسطتهِ من فحص الغرفة واول ما وقع نظري عليهِ رجل قد وقف بقرب الحائط كبير الجسم طويل القامة والى جنبهِ سيف طويل

عرفتهُ للحال من قبعتهِ انهُ من القوزاق . ولا انكر انني لم اكن انتظر ان أرى احداً في ذلك المخبأ فلما رأيتهُ لم اتمالك ان اصابتني قشعريرة الخوف ولكن للحظةٍ فقط لان فكري الثاقب اعلمني للحال ان الرجل خائف اكثر مني والاَّ لما كان دخل الى ذلك المكان وحقق ظني هذا ما رأيتهُ فيهِ من الارتباك ومحاولتهِ الاختفآء بين براميل الخمر . واستعرت من الضعف قوةً فاخذت الشمعة ثانيةً واشعلتها ثم تقدمت اليهِ بكل عظمة وقلت لهُ الى اين تهرب مني يا هذا لقد دنا اجلك . فقال والخوف بادٍ على وجههِ انني اسلم لك يا سيدي وانما اتوسل اليك ان تبقي على حياتي. فوعدتهُ بذلك وناولني سيفهُ ثم سألتهُ عن شأنهِ فاعلمني انهُ من قوزاق الامبراطور وانهُ جآء بفرقتهِ الى سنليس واحتلوا منزل الحاكم وفي المسآء شعر ببرد في جسمهِ فنزل الى قبو الخمر ليشرب شيئاً و بينما هو هناك سمع جلبة وغوغآء في المنزل وعلم اننا دخلناهُ فخاف ان يصعد و بقي مختفياً حيث رأيتهُ . ولم يكن قد علم اننا كما فعلنا بالقوزاق فعل الالمان بنا فشكرت الله على عدم معرفتهِ بذلك وللحال خطر لي خاطر هو من الحكمة بمكان فنظرت اليهِ وقلت انني اتأسف جدًّا انني وعدتك بحياتك وارانى لا استطيع صيانتها . فاكفهرَّ وجههُ خوفاً وقال ولمَ ذلك يا سيدي . قلت لان جنودنا ولا سيما البولبين يكرهون القوزاق كثيراً فاذا مرَّ بهم احدهم قطَّعوهُ قطعاً ولو أمرهم ضباطهم بالكفّ عنهُ ولذلك اذا صعدت بك الآن اليهم فانني لا أجد قوةً تمنعهم عنك . فانحدرت من عينيهِ دمعتان ونظر اليَّ بتذلل وقال انني في يديك يا مولاي وقد وعدت بخلاصي فيجب ان تقوم بوعدك . فقلت بعد التفكر ان افضل طريقة لنجاتك هي ان اعطيك ثوبي فترتديهُ وتمرّ أمامهم بدون ان تكلمهم فهم يعرفون ثوبي ولا يعترض احد سبيلك . وما سمع ذلك مني حتى كاد يجن فرحاً واخذ يقبل يديَّ شاكراً ثم قال وانت ماذا تفعل . قلت انني ارتدي ثوبك ولا اخاف منهُ لانني سأدخل اليهم رأساً ويكفيهم مشاهدة وجهي ليعرفوني. و بعد دقيقتين كنا قد تبادلنا ثيابنا جميعها فاعطيتهُ كل لباسي ما عدا الرسالة فانني نقلتها بخفة الى ثوبي الجديد ولما فرغنا من ذلك قلت لهُ انني سأذهب امامهُ لاتحقق

خلو الطريق وجعلتهُ ينتظرني في داخل القبو الى ان آتيهُ بالخبر ثم اقفلت عليهِ الباب وصعدت وانا اتفكر في رسم طريقي وكيفية خروجي

ولما بلغت الغرفة الاولى من المنزل رأيت امامي جثة المسكين بوفيه فحزنت جدًّا ولكنني لم استطع الوقوف امامها لاحييها خوفاً من ان يراني احد . وبلغت الردهة الكبرى فرأيت فيها عدداً من جنود الالمان وضابطهم يحصنون المنزل فلم يهمهم امري ولم اكترث بهم فسرت بدون خوف الى الباب الخارجي . واعترضني الحارس فكلمتهُ بالروسية بعض كلمات حفظتها في موسكو فتبسم وضرب كتفي بيدهِ فخرجت وانا لا اصدق . ورأيت في الدار الخارجية خيول الفرسان وبينها ڤيوليت وكأنها شعرت بقدومي فاظهرت ذلك بصوت ضعيف اما انا فلم اعدم ذكائي ولم اتقدم اليها رأساً بل اخذت جواداً من جيادهم ركبتهُ ثم اخذت لجام ڤيوليت وقدتها بجانبي وسرت بدون اقل اهتمام . وكانت البلدة ملأى بجنود الالمان فكانوا يشيرون اليَّ وهم يقولون انظروا هذا القوزاقي الطويل العمر فقد نجا من الفرنسويين ولم يهتم واحد منهم بان يعترض سبيلي انما كان بعضهم يحيوني فاجيبهم بالروسية . ولم ازل كذلك حتى اصبحت خارج البلدة وكدت اوقن بفوزي واذا بفارس من القوزاق عائد الى البلدة فكدت افقد عقلي لعلمي ان امري سينكشف لا محالة ولكنني تجلدت. فلما اقترب مني كلمني فلم اجبهُ فاستل سيفهُ وكنت قد توقعت ذلك فكنت اسرع منهُ وضربتهُ ضربة على عاتقهِ نزلت الى منتصف صدرهِ فسقط الى الارض. وللحال وثبت من ظهر جوادي الى صهوة ڤيوليت فانطلقت تعدو بي اسرع من السهم وانا اكاد اطير من عظم سروري وقد ايقنت ان الامبراطور نفسهُ سيعجب بي متى اخبرتهُ بما حصل لي

ولما بلغت دامرتين رأيت فيها فصيلة من جنودنا وسرني بلوغي دار الامان حتى كدت اعدم رشادي فرفعت سيفي في الهوآء وانا اتقدم اليهم بصياح الفرح والسرور واذا بفارس منهم قد استلّ سيفهُ وجآء لملتقاي وانا احسبهُ يرحب بي ولكنهُ ما قاربني حتى ضربني ضربة لو لم استقبلها بمنتهى الدراية لاعدمتني الحياة. وللحال

فهمت انني لا ازال بثوب القوزاق وانهم ظنوني عدوًّا فللحال اعلنت لهُ نفسي ولو ترون كم اظهر من الاسف لما علم ذلك وقد كان على وشك قتل جيرار المحبوب . وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم بلغت الى سانت دانيس ومنها الى باريس ولا تسلوا عن حالتي عند ما سرت في شوارعها والى جانبي اثنان من فرسان الدراغون يرافقانني وكانت النوافذ تفتح لمشاهدتي والفتيات يرمينَ اليَّ بالقُبَل . ومع عدم اكتراثي بالشهرة والفخر لم اتمالك من الاعجاب بنفسي وقد تاكد لي انني استحق مثل هذه المقابلة . وبلغنا التويلري فترجلت وقبلت ڤيوليت بكل انعطاف ثم سلمتها الى جنديٍّ ودخلت ولم اكن بثوب يليق ان اقابل بهِ ملك اسبانيا غير ان للضرورة احكاماً فدخلت الى حضرتهِ وكان معهُ تاليراند فدفعتُ اليهِ الرسالة. وبعد ان اطلع عليها سلمها الى تاليراند ثم نظر اليَّ باستغراب وقال هل كنت الرسول الوحيد لايصال هذه الرسالة . قلت كلا فان صورتها مع رسول آخر يدعى الماجور شربنتير . قال انهُ لم يصل بعد . قلت ان جوادهُ لا يستطيع السرعة كفرسي . فتبسم تاليراند تبسماً استغربتهُ وقال ربما كان سبب تأخرهِ غير ذلك

وحياني الملك بعد ان شكرني على بسالتي ثم خرجت وتوجهت توًّا الى حيث ارتديت ثوباً من ثيابي وبعد ان استرحت وارحت ڤيوليت عزمت على الرجوع لانني كنت مشتاقاً الى مواجهة الامبراطور واطلاعهِ على ما فعلت لاسمع المديح منهُ. ولما كنت حرًّا في اختيار الطريق لرجوعي جئت من سكة امينة وبعد يومين بلغت المعسكر وتوجهت توًّا الى غرفة الامبراطور وكان يشرب القهوة ومعهُ برتيه ومكدونلد . فلما وقع نظرهُ عليَّ قطب حاجبيهِ وقال ما شأنك يا هذا . قلت انما جئت يا مولاي لاعرض لجلالتكم انني بلغت رسالتكم بأمان الى جلالة اخيكم ملك اسبانيا . فظهرت على وجههِ علامات شراسة وكدر لن أنساها ما حييت وقال ماذا تقول . واين شربنتير اذاً . فقال مكدونلد قد اسرهُ فارس من القوزاق . قال وهل تحاربا . قال كلا ولكن شربنتير سلم نفسهُ اليهِ . فقال الامبراطور حسناً فعل شربنتير فيجب ان يعطى لهُ وسام جوقة الشرف . اما انت يا جيرار فقد تحققت

انك عادم العقل وماذا تظن غايتي من ارسالك في مثل هذه المهمة وهل تعتقد انني كنت اسلم رسالة ذات شأنٍ كهذه الى ابله نظيرك وآمرهُ ان يمرّ في كل قرية او بلدة فيها الاعدآء . اما نجاتك من كل تلك الاخطار فمما يفوق ادراكي ولو كان الرسول الاخر فاقد العقل نظيرك لاحبطتما سعيي . وقد كان يجب عليك ان تفهم ان هذه الرسالة التي سلمتها اليكما واطلعتكما عليها لم تكن الاّ اخباراً مزورة بعكس ما أنوي وقد امرتكما ان تسيرا بين الاعدآء بقصد ان يأسروكما ويأخذوا الرسالتين منكما فيظنوا اني آتٍ الى باريس ويوجهوا اهتمامهم الى هذه الجهة بينما اكون انا ادبر عكس ذلك تماماً . فلما سمعت ذلك ورأيت هيئة الغيظ والتكرُّه العظيم اسودت الدنيا في عينيَّ فقلت لهُ وقد انحدرت دموعي على وجنتيَّ يا مولاي انهُ لا يوجد في كل مملكتك اصدق مني لك فاذا ارسلتني بمهمة بعد الآن ينبغي ان تطلعني على جميع تفاصيلها فلو اعلمتني انك ترغب في وقوع الرسالة بين ايديهم لفعلت ذلك بسهولة ولكنك لم تفعل فقد خاطرت بنفسي وعزمت ان اريق آخر نقطةٍ من دمي في سبيل ايصالها الى عنوانها

وكنت اتكلم بمزيد التأثر وانا اكفكف دموعي ثم قصصت عليهِ قصة سفري بالتفصيل وانني بعد خلاصي من كل تلك المخاطر كدت اقتل بسيف الضابط الفرنسوي ايضاً . وكان الامبراطور وبرتيه ومكدونلد يسمعون بمنتهى الاصغاء والاعجاب . فلما انتهيت اقترب نابوليون مني وامسك اذني فقال حسن حسن يا جيرار وانا ارجو ان تنسى كل ما قلتهُ لك منذ هنيهة فاني بعكس ذلك امدحك واهنئك . وفهمت منهُ انهُ يمكنني الانصراف فحييت وتحولت الى الباب فاستوقفني صوتهُ مكلماً مكدونلد بقولهِ ارجو منك يا دوق تارنتم ان تقلد جيرار وسام جوقة الشرف الخصوصي لانهُ وان يكن اكبر رجالي رأساً فهو أشدهم بأساً واقواهم قلباً

ولما لمع الوسام على صدري أنساني كل شيء الاّ والدتي والامبراطور وفرنسا